

## إهانة أخيرة لسامي الحاج

كتابة كلايف ستافورد سميث  
(محامي سامي الحاج)

لقد سافر كلايف ستافورد سميث، مدير منظمة ربريف الحقوقية الخيرية، إلى السودان يوم الأحد 4 مايو/إيار ليلتقي بسامي الحاج المصور بقناة الجزيرة والذي أطلق سراحه مؤخرا من سجن غوانتانامو حيث دافعت عنه ربريف منذ عام 2005. مايلي هو تقرير كلايف الذي يتضمن مقطعاً مخصصاً لدحض وتفنياد ادعاءات مسؤولي البنتاغون أو وزارة الدفاع الأمريكية بأن سامي الحاج، الذي كان مضرباً عن الطعام لمدة ستة عشر شهراً قبل إطلاق سراحه، وقد نُقل إلى المشفى فور وصوله إلى السودان، "بدا لنا في صحة جيدة" حين غادر غوانتانامو.

\*\*\*

حتى حين كان الجيش الأمريكي على وشك أن يطلق سراحه، كان الجيش مايزال غير راغب بمعاملة سامي الحاج باحترام أو وقار. الأيام الأخيرة التي قضاها سامي في غوانتانامو كانت قاسية. لقد كانت هناك الكثير من الوعود الزائفة والتي جعلت سامي غير متأكد من أنه سيغادر المعتقل، وفي الأيام الخمسة عشر الأخيرة توقف عن شرب الماء، بالإضافة إلى رفضه تناول الطعام. ماجعله يستمر في الحياة كان الطعام والشراب اللذين أُجبر على تناولهما بالقوة.

لقد أتى الأدميرال بنفسه ليُشرف على إطلاق سراح سامي. ولقد أحضر ورقة وقرأها قبل أن يطلب من سامي توقيعها. الورقة تضمنت بأن للولايات المتحدة الحق باعتقال سامي مرة أخرى إذا ما قام بأي عمل خاطيء. وبالطبع رفض سامي التوقيع. ولقد أوضح للأدميرال بأنني، كمحام له، أخبرته بالألا يوقع مثل هذه الوثيقة.

وكان أحد الجنود أخبره بأنه حتى في تلك اللحظة يمكنهم أن يوقفوا إطلاق سراحه. وكان مسؤول أمريكي يقول بأن سامي رفض تغيير ملابسه من البرتقالي إلى الأبيض مما يعني أن سامي قد اتخذ قراراً مفاده أنه لا يريد أن يغادر المعتقل. وهذا كان بالتأكيد زائفاً.

"سوف أردي أي شيء إذا كان ذلك يقود لحريتي" قال سامي "حتى أنني مستعد لأن أغادر عارياً، ليس لدي مشكلة. أريد حريتي."

وكان جندياً، يبدو أكثر لطفاً، أخبر سامي بأنه على ما يبدو يوجد شخص ما يحاول أن يُعرقل إطلاق سراحه. لقد أخذ الجندي سامي مباشرة من كرسي الإطعام بالقوة إلى زنزانته ليبدل ملابسه.

وحوالي الساعة السابعة من مساء يوم الأربعاء، 30 أبريل/نيسان، أخذ سامي من زنزانته في المعسكر رقم 1. وبعد ساعة، بدأ الباص رحلته إلى المطار. دامت الرحلة ساعة من الزمن على الرغم من أن المسافة ليست بعيدة. جميع نوافذ الباص كانت مغطاة بأكياس قمامة بلاستيكية سوداء لذلك لم يكن

باستطاعة سامي رؤية أي شيء. لقد عبرتُ شخصيا هذا الطريق عدة مرات، وكان من الصعب أن ترى ماكانوا يخافون مأيمن أن يرى من قبل أي شخص- ماكدونالد ربما، أو ملعب الغولف في غوانتانامو.

وعندما وصلوا إلى المطار، كانت الطائرة المنتظرة شبيهة بتلك التي جلبت سامي من أفغانستان إلى غوانتانامو. كان ينبغي على سامي والسجناء الثمانية الآخرين الذين أطلق سراحهم معه أن يدخلوا من الباب الخلفي للطائرة. ولید علي، سجين سوداني آخر كان بالقرب من سامي يليه سعيد البوجعيدة من المغرب. أمير يعقوب كان السجين الثالث من السودان وكان هناك أيضا خمسة أفغان. ومثل الآخرين، وضعت عصابة على عيني سامي، وصمامات على أذنيه بالإضافة إلى تقييد يديه ورجليه. أقلعت الطائرة الساعة العاشرة والنصف مساءً وأول محطة كانت بغداد في رحلة استغرقت 15 ساعة.

"عندما طلبت للمرة الأولى الذهاب للتواليت أجنبي الحرس بأن ذلك غير مسموح" قال سامي. "إذن سوف أعملها على الكرسي." عندها أخذوه للحمام ولم يقبلوا بأن يغلقوا الباب أو أن يفكوا القيد عن يديه أو أن يزيحوا العصابة عن عينيه. لقد أخبروه بأنهم سوف ينزعوا له سرواله ويجلسوه وأضافوا بأنهم سوف لن يسمحوا أن يغسل يديه فيما بعد.

وأخيرا، بعد كل ذلك الجدل بأنه لا معنى لهذا التصرف وأنه غير حضاري، قرر سامي بأنه لا يمكن أن يستعمل الحمام تحت تلك الظروف. وكنتيجة لذلك، لم تكن الساعات الطويلة التي تلت مريحة أبدا.

لم يكن هنالك أي مجال للنوم، وحين حاول سامي أن يتكى قليلا حيث يمكنه أن يستريح لبعض الوقت، أخبر بأن ذلك ليس مسموحا به.

لم يأكل سامي أي شيء خلال الرحلة حيث أنه قطع عهدا على نفسه بأنه سوف لن يوقف اضرايه عن الطعام حتى يصل السودان بأمان. لقد أقر بأنه سوف يوقف احتجاجه فقط حين يسأل زوجته أن تطعمه- غذاؤه الطبيعي الأول منذ 16 شهرا. لكن سامي كان يريد أن يعرف ماذا سيقول الحراس لذلك طلب من وليد أن يسأل عن الطعام. أجاب الحراس بأن عليه أن يبقى هادئا وأنهم سيقدمون الطعام حين يحين الوقت. أخيرا، بعد ساعة ونصف، أعطي سندويتشة لكن سامي لم يأكل شيئا ولم يشرب شيئا، أولا بسبب احتجاجة المستمر، لكن وبشكل محدد أكثر لأن كان يعرف أن عليه أن يواصل الرحلة بدون الذهاب إلى التواليت. بالنسبة للآخرين، كانت هنالك زجاجة واحدة من الماء وكان عليهم تقاسمها فيما بينهم.

كانت بغداد فقط عبارة عن محطة توقف. كان على الجميع الانتقال إلى طائرة أخرى. الأفغان سيذهبون إلى كابول أما سامي ورفاقه فيسيذهبون أولا إلى السودان ثم إلى المغرب حيث ستأخذ الطائرة سعيد بوجعيدة.

واستغرقت المرحلة الثانية من الرحلة 4 ساعات إلى الخرطوم وهذا ماجعل الرحلة ككل تستغرق 20 ساعة. عشرون ساعة أخرى من المعاناة قبل أن تحط الطائرة في الخرطوم. وبالنهاية، أصبح سامي ضعيفا، أضعف بكثير من ساعة غادر السجن في كوبا.

وحتى في ذلك الوقت، لم يكن الجنود الأمريكيون مقتنعين بأن يطلقوا سراح سامي. فقبل أن يسلموه إلى السلطات السودانية، نزعوا القيود المعدنية عن يديه وبدلوا بقيود بلاستيكية، لقد كانت محكمة جدا لدرجة أنها جرحت معصميه.

"بعد مغادرة الطائرة، أول شيء أدركته أنني وجدت نفسي في المشفى" هذا ماأخبرني سامي إياه. لقد كانت مفارقة غريبة بالنسبة لغوانتانامو حيث قابلت سامي مؤخرا هناك وهو مقيد الرجلين في معسكر إغوانا. الآن نتكلم في غرفة كبار الشخصيات في مشفى الخرطوم وسامي مرتد للباس السوداني التقليدي الأبيض وهو ينتسم لجميع من حوله.

وفي وقت مبكر، أخذني أحد الأطباء على انفراد ووصف كيف خاف الطاقم الطبي على حياة سامي عندما حُول من قبل الأمريكيين إلى المشفى. كان فاقدًا للوعي تقريبًا، وعلامات الحياة انخفضت إلى مستوى منخفض وخطير. وللحظة، بدا لنا بأن سامي أرسل هنا ليموت. لكن ولحسن الحظ، انتهت هذه القصة بشكل سعيد.

وبينما كنت بصحبته، قامت زوجة رئيس الجمهورية بزيارته. الرئيس نفسه زاره من قبل. الآن، كان سامي يبتسم لزواره وبلطف يطلب من ابنه محمد لأن يدور على الزوار ويقدم لهم الحلوى.

كلايف ستافورد سميث، محامي الدفاع عن سامي الحاج، هو مدير المنظمة البريطانية الخيرية ([www.reprieve.org.uk](http://www.reprieve.org.uk)) "ربريف" والمنظمة ملتزمة بالدفاع عن هؤلاء المحرومين من العدالة في خليج غوانتانامو وفي أية سجون سرية حول العالم. وتقدم ربريف أيضا تمثيل قانوني مجاني للسجناء الذين لا يمكنهم تحمل تكاليف نفقات المحامين.

أو ولمزيد من المعلومات يمكنكم الإتصال بأندي ورثينغتون على المكتب الإعلامي لربريف على  
+44 (0)20 7427 1099 الكتابة إلى  
[Andy@reprieve.org.uk](mailto:Andy@reprieve.org.uk)